



إن جودة في كافة المجالات هي أساس لنهضة الأمم والشعوب ولا شك أن الدول التي أخذت بالجودة منها ودليلًا في كافة برامجها ومعطياتها وطبقتها في كافة مؤسساتها تقدمت أكثر من غيرها، بل وصلت إلى مراحل من التقدم والنمو تعجز كثيرون من الدول أن تصل إليه في الوقت الحالي.

ومن أهم الأسئلة التي يجب أن تكون موضوعاً مهماً يشغل كل دولة تريد أن تنهض وتسرع في خطواتها للحاق بركب التقدم وقطار التنمية هو السؤال الذي يدور حول أهمية الجودة بوصفها أساساً لنهضة الكثرين. ولا شك أن الجودة من أهم الموضوعات التي يجب أن تطرح على الساحة وأن يتجدد الحديث عنها باستمرار وذلك لأن أهميتها وأثرها في الارتقاء بالبلدان النامية والنهوض بها للحاق بركب البلدان المتقدمة التي اهتمت بموضوع الجودة في كل مجالات الحياة وخاصة مجال التعليم بكافة مستوياته إذ قدمت للبشرية نماذج رائعة من مفكرين وعلماء في كافة المجالات الطبية والهندسية والعلوم الإنسانية، وكان أعلم دافع ومحرك لها في الوصول إلى ما وصلت إليه من التقدم الثقافي والتكنولوجي والعلمي هو الاهتمام بالجودة وتحسينها بشكل مستمر مع أننا إذا رجعنا إلى الوراء قليلاً لوجدنا أن أصل ذلك التقدم راجع إلى الإسلام وتعاليمه المتمثلة في القرآن الكريم والسنة النبوية، الشريعة التي بينت أهمية تحسين العمل وتقويته والإتقان فيه، ولكن للأسف الشديد هي نكبة البعد عن صحيح الدين وتعاليم الإسلام، فالشريعة الإسلامية والتي استفاد الغرب منها كثيراً احتوت من النظم والخصائص ما تعجز أن تأتي به أي نظام في العالم، ولا عجب في ذلك فهي شريعة ربانية، وعالمية، وواقعية، ذات منهج وسطي قوي يحقق الخير للعالم أجمع لأن فيها الفاعلية والقوة والخلود، ولا عجب في ذلك فمصدرها هو القرآن الكريم دستور هذه الأمة لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من عزيز حكيم. والتغيير إلى الجودة في كل المجالات هو سبيل التقدم والنهضة، أو كما جاء في التنزيل الحكيم (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) (الرعد: الآية ١١)، فالتحفيز سنة كونية، بل إنه عنصر أساسي من عناصر الحياة لاستمرارها في عصر يتميز بالдинاميكية والحركة في شتى المجالات - خاصة العلمية منها - مما جعله سمة ملزمة لكل أنشطة الحياة وصورها، وبما أن التغيير يتم بالإنسان ولخدمة الإنسان وسبيل لنهضة الإنسان فإنه يمثل بذلك غاية ووسيلة في آن واحد، لذا يتطلب هذا أن يكون متوازناً ومتحققاً لأهدافه قادراً على مواجهة تغيرات العصر ومستجداته. والتغيير والتغير وجهان لعملة واحدة، أي أن كل تغير لا بد أن يصاحبه أو يتبعه عملية تغيير للتكييف مع ما يحدث من تغير، فإذا ما حدث تغير في أحد عناصر المؤسسة لا بد أن يصاحبه تغيير في العناصر الأخرى، حتى يمكن تحقيق التكامل بين جميع جوانب المؤسسة.

وختلاصة القول إذا أردنا التقدم والنهضة لا بد أن نأخذ بالتغيير إلى الجودة في كافة المجالات فهو السبيل الوحيد للنهضة والرقي وسبب رئيس من أسباب سعادة الإنسان، فمما لا شك فيه إذا كان المجتمع متميزاً ومتقدماً، شعر أفراده بالقوة والفخر والعزّة في سد كافة الاحتياجات المرتبطة بالتطور وقيادة حركة التقدم في المجتمع، وهذا ما نراه بوضوح في المجتمعات المتقدمة.

* أستاذ جودة التعليم الطبي والرعاية الصحية المشارك

جامعة الإمام عبدالرحمن بن فيصل

Ahmedkuwaiti@